الطلبة والفقراء. ودرَّس في المدرسة الجانبكية، ومما حكي عنه أنه صعد القلعة للاجتماع بالملك الأشرف في قضية ضاق بها صدره، فما تيسَّر، ورجع وقد تزايد كربه، فاتفق أنه دخل مدرسةً قريبةً من القلعة فتوضّأ وصلَّى ركعتين ورفع رأسه فوجد بجانب محرابها مكتوباً: [من البسيط]

دَعْهَا سَمَاوِيَةً تَجْرِي عَلَى قَدَرٍ لا تَعْتَرِضْهَا بِأَمرٍ مِنْكَ تَنْفَسِدُ

فاستبشر بذلك، وآلى إن قضى أمره أن ينظمه في أبيات؛ فلم يشعر إلّا وقد جاء قاصد السلطان يطلبه، وحصل الغرض، فقال: [من البسيط]

فَقُلْتُ لِلقَلْبِ لما ضَاقَ مُضطرِباً وَخانني الصبرُ والتفريطُ والجَلَدُ[1]

دَعْهَا سَمَاوِيَةً تَجرِي عَلَى قَدَرٍ لا تَعترضها بِأَمرٍ مِنكَ تَنْفَسِدُ

فَحفَّني بخفيّ اللُّطفِ خَالِقُنا نِعْمَ الوكيلُ ونِعْمَ العَوْنُ والمَدَدُ[2]

وما زال مستمراً على حاله الجميل، حتى (مات) ليلة السبت حادي عشر ذي القعدة سنة ٨٥٠ خمسين وثمانمائة. ولم يخلف بعده في فنونه مثله.

٣٥

(أحمد بن سَعْد الدين بن الحُسين بن مُحمَّد ابن عليّ بن غَانم بن يُوسُف بن الهادي بن عليّ بن عبدالعزيز ابن عبدالواحد بن عبدالحميد الأصغر ابن عبدالحميد الأكبر)

المسوريّ الزيديّ القاضي الفاضل المترسل البليغ المنشئ العارف. شارك في الفنون وتميز في كثيرٍ منها، وحرَّر رسائل وفتاوى، واتَّصل في أول عمره بالإمام القاسم بن مُحمَّد عليه السلام. وأخذ عنه وكتب لديه. وكان يُؤثره، ثم اتصل بعد ذلك بولده الإمام المؤيد باللَّه، فارتفعت درجته لديه، وصار أكثر الأمور منوطاً به، ولم يكن لغيره معه كلام. ثم اتَّصل بعد موت المؤيد باللَّه بأخيه الإمام المتوكل على اللَّه، وشارك في أمور، ونقص حظه قليلاً بسبب أنه بادر إلى مبايعة أحمد ابن الإمام القاسم عند موت المؤيد. ثم لم تتم تلك البيعة وتمَّ الأمر للمتوكل على اللَّه. وما زال على جلالته وفخامته حتى (مات) يوم الثلاثاء سادس عشر شهر محرم سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف. وقُبِر بجوار قبر الإمام القاسم بن مُحمَّد وولده المؤيد. وقد ترجمه تلميذه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «مطلع البدور» ترجمة «نفيسة»،

(١) الجَلَدُ: القُوَّةُ، والصَّبْرُ على المكروه.

(٢) حَفَّني: أحاطني، أو غَمَرني. اللُّطْفُ من اللَّه: التوفيق والعصمة.

وأطال الثناء عليه، ووصفه بأوصاف فخيمة، وله شهرة كبيرة بالديار اليمنية إلى الآن. ولعل ذلك بسبب متاخمته للأئمة، وارتفاع حظّه في تلك الدولة ومشيه في جميع مباشرته على طريقة العلماء[١].

٣٦
(أحمد بن صَالح بن أبي الرجال)[٢]

وصَالح هو ابن مُحمَّد بن عليّ بن مُحمَّد بن سُليمان بن مُحمَّد بن أحمد بن عبداللَّه بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مُحمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحَسن المعروف بأبي الرجال بن سَرْح بن يَحْيَى بن عبدالرّحمن بن عبداللَّه بن أبي حَفْص عُمر بن الخطَّاب الخليفة الصحابي. (ولد) في ليلة الجمعة من شهر شعبان سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف في جهات (الأهنوم)، وأخذ عن جماعة من أعيان العلماء، منهم الإمام المؤيد باللَّه مُحمَّد بن القاسم بن مُحمَّد، والسيد إبراهيم بن مُحمَّد بن أحمد بن عزّ الدين المؤيدي، والسيد عزّ الدين بن دريب، والسيد الرئيس مُحمَّد بن الحَسن ابن الإمام القاسم، والقاضي أحمد بن سَعد الدين المذكور قبله، والقاضي إبراهيم بن يَحْيَى السحولي، وجماعة غير هؤلاء. وأجاز له جماعة وآخرون. وبرع في كثير من المعارف، وهو صاحب (مطلع البدور ومجمع البحور). ترجم فيه لأعيان الزيدية، فجاء كتاباً حافلاً. ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسَّر له جمع ذلك الكتاب. لأن الزيدية مع كثرة فضلائهم، ووجود أعيان منهم في كلّ مكرمة على تعاقب الأعصار، لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم، أو نثر، أو تصنيف، وهذا مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف، والاكباب على كتبهم التاريخية وغيرها. وإني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سبباً لدفن سابقهم ولاحقهم، وغمط[٣] رفيع قدر عالمهم، وفاضلهم، وشاعرهم، وسائر أكابرهم. ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم كمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور. وإن ذكروا النادر منهم، ترجموه ترجمة مغسولة عن الفائدة، عاطلة عن بعض ما يستحقه، ليس فيها ذكر مولد ولا وفاة، ولا شيوخ، ولا مسموعات، ولا مقروءات ولا أشعار ولا أخبار. لأن الذين

(١) في «جامع المتون»: وُلد صاحب الترجمة سنة ١٠٠٧هـ.
(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ١٦٣؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٥٠٠.
(٣) غَمَطَ فلانٌ فلاناً غَمْطاً: استصغره واحتقره.